إن سورة التوبة بآياتها المحكمة التي مثلت الشرعة النهائية للجهاد في هذا الدين وإلى يوم الدين لتعتصر قلبي ألما وتمزق نفسي أسى وأنا أرى تقصيري وتقصير المسلمين أجمعين تجاه القتال في سبيل الله).

في المعركة

كانت أول معركة يدخلها الإخوة الأنصار كمجموعة واحدة مسلحة هي معركة جاور .

فلقد وصل الشيخ عبدالله عزام وأبوعبدالله (أسامة بن لادن) إلى «ميرام شاه» ونزلوا ببيت الشيخ جلال الدين حقّاني – حيث كتب الشيخ عبدالله وصيته – وكان الشيخ جلال الدين مصابا إثر هجوم عنيف بالطائرات استمر مدة ٢٦ يوما بعدها تمكن الروس من الدخول إلى جاور . وتم شراء الأسلحة من سوق السلاح وإكمال الباقي من الشيخ جلال الدين حقّاني والمهندس حكمتيار حيث كان القتال يدور حول مواقعهم .. وتمت مبايعة الشيخ عبدالله عزام على أن يكون أميرا للأنصار في القتال في هذه المعركة وبعد العودة من المعركة تكون البيعة قد حلت . وقد كان منظر البيعة مهيبا يأخذ القلوب وقد بدأ البيعة أبوعبدالله ثم تبعه الجميع ووسط الأناشيد الإسلامية الحماسية واندفاع الشباب القادم لأول مرة . تكلم الشيخ عبدالله عزام كلمة محمّس ومودّع وسمى هذه المجموعة بكتيبة الغرباء وكانت التجربة الأولى لنا ، كان أكثرنا لا يعرف إلا الكلاشنكوف ومنا أيضا من استلمه وتعرف عليه لتوّه .. مما جعل بعض الأخطاء العسكرية تتكرر بيننا ونحن في الطريق إلى المعركة ومما جعل أحد الإخوة القدامى يعلق : إنها كتيبة الظرفاء لا الغرباء .. وكفى الله المؤمنين القتال فعندما وصلنا لم نجد للعدو أثرا فقد انسحب من المواقع .. لا أنسى كيف أنهكنا في طلوع الجبل ولكن ذلك الرجل كان أولنا رغم سنه الكبير وشبابنا المزيف .. لقد كان الشيخ عبدالله عزام أول القافلة إلى أن وصلنا المركز ثم عدنا في اليوم التالي إلى ميران شاه ..

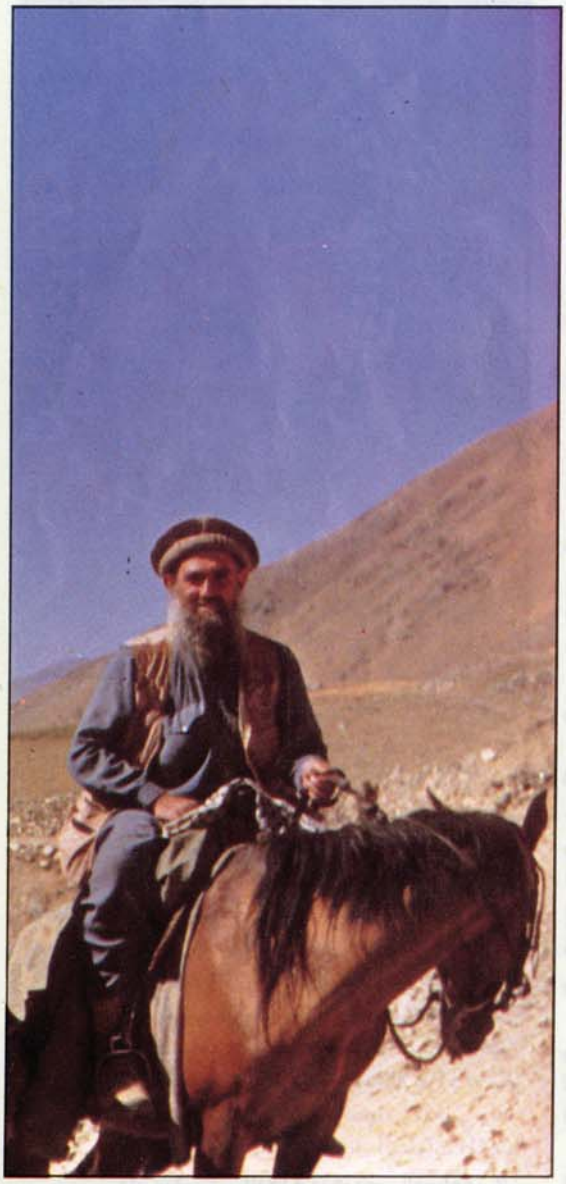

على جواده .. كلما سمع هيعة طار إليها (في شمال أفغانستان)

التجربة الثانية

بعد الرجوع من خوست بشهرين تقريبا بدأ الروس يطبقون نفس البرنامج الذي استطاعوا به الاستيلاء على جاور فوصل الشيخ عبدالله عزام ومجموعة من الأنصار ووضعوا الرحال في «صدّه» وكانت ثلاث خيام والتي أصبحت من بعدها «صدّه» معسكرا دائما هو بيت الشيخ عبدالله عزام الأول .. لقد كانت التجربة في معركة جاجي أليمة حيث لم يكن كثير من الإخوة قد أجادوا التدريب لكن من بعدها أصبح للأنصار صولات وجولات في القتال داخل أفغانستان يعرفها الروس ويعرفها الشيوعيون ويشهد بها المجاهدون .

كل هذا والشيخ عبدالله عزام لا يفتر أبدا .. يبحث عن أدلة فرض العين في كل مكان ويقولها في كل مجلس حتى حفظ بعض الشباب أرقام الصفحات التي يأتي بها الشيخ عبدالله كدليل على فرضية العين .

جيلا من تحت الأنقاض

لقد كان الشيخ عبدالله عزام روح تسري في نفوس الشباب بالطريق المباشر أو غير المباشر ، ويكفينا أنه العالم الوحيد الذي تفرغ للقتال والجهاد ، والدعوة بين ألوف الشباب الذين تركوا ديارهم وترفهم وجاءوا إلى هنا يقاومون البرد والحر في داخل الخنادق .. لم تمر معركة كبيرة إلا وكان الشيخ عبدالله عزام قريبا من الشباب يشجعهم ويدعو لهم .

حادي الشهداء يكتب عن نفسه

ظل الشيخ عبدالله عزام ما يقرب من خمس سنوات وهو يؤرخ ويكتب عن الشهداء تحت اسم «أبومحمد» بمجلة الجهاد ، والآن نتخبط في بعضنا البعض لا أحد يستطيع أن يكتب عنه كما يليق به .. لا أحد يستطيع أن ينقل صورته الصحيحة كما يليق به لكنه كتب عن نفسه بلوحة لا مثيل لها في عصرنا الحديث .. كتب بدمه .. بدم أبنائه .. بأشلاء أبنائه .. رسم لوحة ما أبدعها .. سيارة معطرة بعطر صلاة الجمعة .. اليوم المبارك .. ذاهبة إلى المسجد .. بها رجل يسترجع الأحاديث والآيات والموضوع الذي سيلقيه .. فجأة تتحول الأفكار إلى دماء وأشلاء وقطع متناثرة لتبقى في نفوس الأجيال وقلوب الشباب زيتا مضيئاً لا ينتهي ..

منذ زمن ونحن نفتقد القدوة الذي تنتهي حياته كما يصورها للآخرين بكلماته وقلمه ولو أن سيد قطب لم يعدم لما أصبحت كتبه مخازن بارود ولو لم يستشهد الشيخ عبدالله عزام لما قامت الضجة العملية الموجودة الآن في نفوس الشباب في جميع أنحاء العالم الإسلامي ... لقد أصبح عبدالله عزام فتيل موقد في كل قلب يبحث عن طريق العزة والجهاد .